

استطيقا الخوف في قصص ذلك النهر الغريب للقاص نجمان ياسين

The ability to fear in the stories of that strange river by Najman Yassin

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	أ.د. محمود خليف خضير الحياني		
الدرجة العلمية	استاذ		
مخبر الانتماء	الكلية التقنية الادارية الموصل		
جامعة الانتماء	المديرية العامة للتربية ذي قار		
البلد	العراق		
البريد الإلكتروني	mahmood_khleef@ntu.edu.iq		
الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل		د. محمود خليف خضير الحياني mahmood_khleef@ntu.edu.iq	
الملخص باللغة العربية			
الملخص	الملخص : إن الاشكالية التي يثيرها موضوع الخوف بوصفه ثيمة جمالية ترتبط بقدره المبدع على تحويل تجربة الاحاسيس والانفعالات والعواطف إلى استعارات لأفعال سردية تثير في المتلقي نوع من الخوف والفرع والهلع ، الذي يتشكل في فضاء النص الجمالي ، ولكن ما تسجله استطيعا الخوف في قصص ذلك النهر الغريب للقاص نجمان ياسين يدور في البعد الانطولوجي لعلاقة الانسان مع مخاوفه ، فهذه المخاوف تثير اسئلة كثيرة ترتبط بمصير الانسان وعلاقته بالزمان والمكان وعدم اليقين والشك والمصير والخلود والذاكرة والحاضر والماضي والمستقبل ، فالخوف يكشف عن البعد الانطولوجي للوجود غير المحدد واللامتناهي .		
الكلمات المفتاحية:	مفاتيح الكلمات : الاستطيعا ، الخوف ، السرد ، العواطف ، الانفعالات .		
الملخص باللغة الأجنبية			

ABSTRACT:	Abstract: The problem raised by the topic of fear as an aesthetic theme is related to the creator's ability to transform the experience of feelings, emotions and sentiments into metaphors for narrative actions that arouse in the recipient a kind of fear, terror and panic, which is formed in the space of the aesthetic text, but what the aesthetics of fear records in the stories of That Strange River by the short story writer Najman Yassin revolves around the ontological dimension of the relationship between man and his fears, as these fears raise many questions related to the fate of man and his relationship with time, place, uncertainty, doubt, destiny, eternity, memory, present, past and future, as fear reveals the ontological dimension of the indefinite and infinite existence.
Key Words:	Keywords: aesthetics, fear, narration, emotions, passions

1. مقدمة:

إن التّحديات الطّبيعية التي فرضت على الانسان كانت بمثابة اعلان رسمي عن ضعف الانسان وهشاشته ، فطبيعته الخُلقية انصدمت بكونه يشعر بالضعف والخوف من الموت ، فضلا عن خوفه من الطبيعة السّاكنة والمتحركة ودورها القهري وتسلطها عليه ، وأن هذا الضعف البشري ولد لديه مشاعر واحاسيس متضاد ومتناقضة ارتبطت بالخوف والفرع والقلق والرعب ، وكل ما يُظن بأنه غير قادر على التّغلب عليها ، وأمام هذا المصير المجهول ، فإنه طرح اسئلة كثيرة بُحث عن اجابتها في اللاهوت الدّيني والانطولوجية والفلسفية وساعدت الميثولوجية في فضاء الخيال الخلاق

أن يغذيها بقصص وحكايات سردية تدعم عنصر القوة والمواجهة في الصراع الذي كان قائما ما بين الطبيعة والإنسان في الاساطير اليونانية والحكايات الشعبية التي تم استنساخها في المتخيل السردى الحديث الذي اعد إنتاج أساطير الخوف والفرع على وفق ما يساعد في التغلب عليها وإعادة اكتشاف رموز وتأويل الأسباب الحقيقية التي كانت من الدوافع الرئيسة في إثارة الخوف والتي اتخذت ابعادا عملت على إعادة صيغة العلاقة الوجودية ما بين الإنسان والطبيعة والذات الإنسانية مع الآخر.

2. المبحث الاول

الخوف بعدا انطولوجيا

يتميز الخوف بأنه مفهوم هلامي غير محدد لكونه يشكل ميكانزمات دفاعية يستعين بها الإنسان في الدفاع عن جوده من الاخطار والمواقف المختلفة والمتنوعة ، فضلا عن كونها تجربة فردية وذات امتدادات وكثافة وحالات تختلف من أنسان وآخر ، فتجربة الخوف متنوعة الاتجاهات والمشاعر ، فالحدث الواحد لمجموعة من الاشخاص لها حالات وتأثيرات مختلفة ما بين فرد وآخر ، وأن هذه الهلامية في التجربة العاطفية أو الوعي المتخلف اضفى على هذا الشعور تسلسل لحالاته تختلف على وفق تأثير هذا الحدث على الإنسان ؛ لذلك تقاطبت والتقيت معه حالات عاطفة ومشاعر ادت إلى ثرائه مفهوما واصطلاحيا ، وأن هذا الثراء المفهوم والقيمة المضافة لمشاعر الخوف ادت إلى أن تكون عائلة دلالية من الاوصاف لحالات الخوف منها الخشية ، والخوف ، والرغبة ، والفرع ، والرعب ، والوجل ، والهلع ، والوجس ، والنقص ... الخ من المصطلحات والمفاهيم التي تشير إلى درجات الخوف ومراحلها المتنوعة⁽¹⁾ .

وإن المرجعيات اللغوية واللسانية والمعجم العربي القديم عمل على أن يحتوى على كل مرادفات ومراحل ودراجات الخوف على اساس القرب والبعد ، وما يمكن أن يؤثر في الإنسان أو الطبيعة ، فقد اتفقت معظم المعاجم العربية القديمة على أن الخوف يعني الفرع أو ما يتضاد مع الأمن والإنس ، وأن الخاء والواو والفاء اصل واحد يدل على الذعر والفرع⁽²⁾ ، وأن هذا الجذر اللغوي له تأثير على الدلالة اللغوية التي تحوم حول " امر مكروه ممكن الوقوع "⁽³⁾ ، ولقد ركز القرآن الكريم على المعاني المختلفة للخوف ، والتي ارتبطت بكل ما يمكن توقع حصول ما تكرهه النفس وهو ضد الأمن ، ولقد استحضّر القرآن الكريم كل درجات الخوف ومرادفاتها من الخشية والخوف والفرع والهلع ... الخ⁽⁴⁾ ، ولما كان الخوف يشكل الحوافز أو المشاعر التي نظمت علاقة العبد بالله سبحانه وتعالى ، فقد حاول الفقهاء والعلماء أن يحددوا الخوف وطرقه ووسائله فقد عرف الغزالي الخوف بأنه عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال⁽⁵⁾ ، وذهب الجرجاني بأنه توقع حلول مكروها أو فوات محبوب⁽⁶⁾ ، وعُرف أيضا بأنه اضطراب القلب وحركته عند تذكر المخوف⁽⁷⁾ ، ولقد توسع تصور مفهوم الخوف في اللاهوت الدين حتى هناك من عرفه بأنه هرب القلب من

حلول المكروه عند استشعاره⁽⁸⁾ ، وأن كل هذه التعريفات ركزت على الخوف من الله اشارة على قوة الايمان به سبحانه .

وانطلقت الفلسفة اليونانية لتفسير الخوف من علل نفسية ترتبط بمعرفة الاشياء والاحوال ، أو ما يمكن أن نطلق عليه علل وجوده ومؤيات حدوثه⁽⁹⁾ ، ولقد حدد أرسطو الخوف بأنه حالة نفسية تدل على الحزن واضرا به ناتج عن تخيل شردهم يسبب تدمير أو أذى معنوي أو مادي⁽¹⁰⁾ .

ولم تبعد تعريفات علماء النفس عن هذه الحدود في تعريف الخوف في كونه انفعال ودافع يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع بالخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدى إلى استثارة الخوف حتى يزول التوتر ويزول الانفعال . وذهب بعضهم إلى وصف طبيعته بأنه حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله⁽¹¹⁾ .

وما بين الجانب النفسي والمادي لوصف الخوف ، فقد حاولت الفلسفة تحديده ولاسيما في الفلسفة الوجودية عند كل من هيدغروسارتر اللذان فسرا الخوف من منظور القلق الوجود وحالة من التعديم والنقص التي يحاول الانسان التغلب عليها عن طريق البحث عن تكملة النقص الوجودي والبحث عن الكمال⁽¹²⁾ .

أما ما يمكن أن نجدوه في الرؤية الفنية الحديثة لتفسير الخوف في الأعمال الفني فإن معظم المتخيل الابداعي في كل الفنون عمل عب مواجهة الخوف عن طريق العمل الابداعي الذي تغلب على مفهوم الزول والعدمية عن طريق البحث عن الخلود والابدية وهو ما تشكل في العلاقة الجدلية ما بين التكرار والاعادة وبمعنى اخر ما بين الذاكرة والنسان ، فضلا عن تكثيف الشعور بالخوف وتحويله الى صورة استعارية في العمل الابداعي⁽¹³⁾ .

وهذا ما يمكن أن يتمظهر في السرد القصصي ، ولاسيما في قصص (ذلك الهـر الغريب) للقاص نـجـمان ياسين .

2 المبحث الثاني

سرديات الخوف في المتن القصصي

إن العلاقة الجدلية ما بين الخوف والخيال أو اللاوعي والذاكرة شكل معضلة انطولوجية وسيكولوجية ، ولكن ما يمكن أن يطرحه الخيال الابداعي يركز على البعد الانطولوجي والذي يتخذ من سرديات الخوف لحظة زمنية ومكانية تسجل ما تعانيه الأنا أو الذات من ألم وعذاب والتي شكلت الأبعاد الحقيقية للخوف في صور متنوعة منها الخوف من الشيء الغامض ففي قصة (جوار قصر شاهق) يقول القاص :

" قال الثاني والملائكة أيضاً.

وتوقفا فترة يستعيدان انفاسها اللاهثة المرتجة.

وفجأة ونساء قال الأول: وسترى بيوتنا الصغيرة.

قال الثاني: سنرى بيوتنا الصغيرة.

تمتم الأول بدهشة: إنها تقول إن بيوتنا من السطح تبدو مثل لعب

قال الآخر: سئرى ذلك قريباً.

وانتبه إلى خطورة هذا التقرير

فأعقب: إذا جاءت.

همس الأول: إذا جاءت.

ورمقا القصر بنظرات كبيرة متحسرة تفيض بالترقب والانتظار الطويل. كانت القنطرة تبدو أمامهما لغزا محيراً عجبياً، مثل قلعة مسكونة بكائنات غريبة ذات أسرار وملاح لا يستطيع الإنسان أن يتبينها بسهولة، لا يستطيع اكتناه هواجسها وسر أغوارها الخفية المصطرعة. وكانت الكائنات السرية تحوم في أرجاء القنطرة وتنتشر ألوان الخوف والحزن والدهشة أيضاً، وهما مبهوران يسحر الأضوية التي تسيل على جدران المرمر وتهمر على الجدران الجانبية مأخوذان ومسكونان باللهفة والتشوف.

قال الثاني: سأرسم صورة عظيمة للأرض، للدنيا من الأعلى.

قال الأول بحسرة: أنا لا أعرف الرسم.

طمأنه الثاني: تستطيع أن تصف منظر الأرض والطبيعة.

بفرح غامر اقتنع الأول وقال: أستطيع ذلك فعلاً⁽¹⁴⁾.

إن العلاقة المكانية التي تدعم البعد النفسي في هذا المقطع تدور في فلك الامتداد المكاني الذي شكل شعور من الرهبة والخوف، وهو ما يمكن أن يتم ملؤه بشخصيات فنتازية غريبة وعجيبة لها تأثير على البعد البصري، عاملة على تكوين استجابة يمكن أن تظهر مؤثرات تعمل على تحفيز الجوانب العميقة التي تحرك الشعور بالخوف، فالغموض ووحشة المكان الواسع وامتداده تثير حال من الشعور بالفراغ الوجودي المرتبط بالطبيعية البشرية التي بدأت تشعر بالنقص وعدم الاكتمال؛ لأن الانتظار بحد ذاته هو الخوف من الشيء المجهول، وما يمكن أن تقدمه هذه المشاهد من اشباح تدعم النهاية التي يمكن أن تكشفها أحداث القصة الكاشفة عن المنظور الطبقي الظاهر في التعامل مع الأطفال اللذين كان لديهم شعوراً بأنهم غير مرغوب بهم هذا العالم، فالانتقاد الاساسي الذي يمكن أن يتمظهر في أن براءة الطفل وخياله الخلاب كشف زيف الترابط والانسجام والنفاق الاجتماعي والحجج التي تدعم قرار عدم المجيء للشخصية الغائب أو البقاء والانتظار حتى أن يتم اللقاء بها، فالموانع والمعوقات التي شكلت نوعاً من الحجب أو السور المادي والمعنوي والنفسي مثلت المضمهر الاساسي لحالة الخوف، فضلاً عن أن فعل الابعاد القهري مارس دوراً في أن يضع هذه الحدود والرسوم ما بين العالمين، عالم الاغنياء وعالم الفقراء، فالخوف الحقيقي هي في لحظة كشف حقيقية هذا الشبح الذي يمثله فكرة الطبقيّة في المنظور الاجتماعي.

ولاشك إن الابعاد الإقليدية التي مثلت حواجزاً أو حجاباً من الخوف لها ارتدادات كثيرة، فالخوف الأول كان من الامتداد المكان في القصر والانتظار، والخوف الثاني من المكان الذي يمكن أن يتمظهر في المكان العالي أو المرتفع، فالخوف أو رهبة المكان العالي أو الامتداد العمودي هو ما كشفته قصة (المنارة) في قوله:

" المدرسة، بدلة ذات قماش تحسن مقلم بخطوط وقيمة كاملة اللون، أما الصبي الثالث فكانت بدلته مغيرة، كانت بدلته حليماً غير متحقق، غير منال بالنسبة لهما.

اتجه الصبية صوب إحدى الزوايا القريبة من قاعدة المنارة جوار الدرج المفضي إلى حوش القاعدة.
تأكدوا من خلو الجامع من المصلين.

قال الأول: هيا بنا.

قال الثالث: هيا.

توقف الثاني وللحظات قصيرة كان التردد يشع من عينيه المذعورتين.

قال الأول: لا تخف.

ردد الثالث : لا تخف، سترى المدينة كلها.

صمت الثاني وظل واقفاً دونما حركة .

قال الأول: سنرى المدينة والجوامع والكنائس.

وافق الثالث وسترى مدرستنا .

تحرك الثاني فأكمل الأول : سنرى مدرستنا وبيوتنا.

تقدم الثاني وتمنى لو لم يحدث الاتفاق بينهم في المدرسة، تمنى لو لم يقل إنه مصعد معهما سلم المنارة وأيقن أن ثمة خدعة في المسألة وأن صديقهما قد خطط لإضاعتهما في دهاليز المنارة المعتمدة لكي يتخلص منهما في منافسته للحصول على لقب - فارس الصف - وأراد أن يقول ذلك لصديقه غير أنه لم يفعل. ولكنه قال :

لتؤجل صعودنا إلى يوم آخر.

قال الأول: غداً عطلة وليس لدينا واجبات⁽¹⁵⁾

ذاكرة الطفولة اضفت على المكان وصورته الخارجية نوع من الشّعور بالخوف فالإحساس بالمغامرة والارادة والاقدام في التغلب على السكون والبحث عن الجوانب الحركية في الحياة والمكان الذي كان يتمتع به عالم الطفولة ، ففلسفة الحركة والارادة والمغامرة والتغلب على كل المصاعب المادية والمعنوية هي ما اعطى الطفل الشّعور بالتفوق الوجودي ، فاللعب له علاقة بمتعة الخوف والسيطرة عليه وإعادة تعريفه واحتوائه في حدود لغرض تشريح ماهية الخوف ، فاكتشاف تفاصيل المكان أثت لأبعاد متناقض غير مرئية ثاوية في عمق المخاوف الانسانية ، فالخوف من الامكان المرتفعة هو الاعتراف بالخوف من السقوط والكشف عن مكان أو فضاء أو موضع في الذات الانسانية شاهدا على الاعتراف بعدم القدرة على التحكم بالموقف ، فالتغلب على الخوف وكل ما يحيطه به بحد ذاته مغامرة في البحث عن كل نقاط الخوف لدى الذات الانسانية .

فمع الاندفاع والتقدم نحو تحقيق الشّعور بالتفوق فإن الذات الانسانية أو الشخصيات القصصية تصطدم بفضاء العدمية أو الفراغ :

" تقدموا وخطواتهم عجل تجاه السلم المؤدي إلى حوش القاعدة واعتلوا درجاته ولثوان معدودة أصبحوا في أرضية القاعدة فأخرج الثالث البطارية البدوية من جيبه واقتربوا من باب مدخل المنارة. اندفع الثلاثة في غمرة كثيفة من الظلام فأشعل الصبي الأول البطارية اليدوية وتدفق شعاع على شكل دائرة صغيرة متراقصة بفعل حلة الانفعال تتكشف الدرج الملتوي المكو بطبقات من الغبار المتراكم، والمشروخة في أكثر من مكان حيث بدت آثار الرطوبة الخائقة والتآكل. احس الصبي الثاني

بالتهاب خائق في حنجرتهم وهم يتوغلون في عمق العلمة ويرقبون بدهشة مذعورة جوانب حدران المنارة من الداخل والتي تنتشر بيوت العناكب والكائنات الحية الصغيرة عليها، الجدران التي تبدأ عريضة من الأسفل ثم تبدأ تضيق حتى تصبح شبيهة بفوهة أسطوانة رفيعة . كان الضوء يتلق تلك الجدران صاعداً، هابطاً، ثابتاً مرة ومنفعلاً في مرات كثيرة، كاشفاً تهويمات الحشرات الصغيرة والرطوبة الجارحة، منتقلاً بين الجدران المفطورة المتصدعة والدرج العبق برائحة الماء والتراب العطن الدرج الذي فقد لونه وفقد تماسكه فأضحى هشاً رخواً يثير هلع القلب حين ترتكز الأقدام عليه وتنطبع صورتها في بعض الأحيان وقت تستقر على درجة ثرية الرطوبة، تزماء أسود له لون كامد. تمتد بعد لحظات قصيرة إلى أجسادهم.

شعر الصبية بوخزات في وجوههم، أيديهم وأقدامهم أولاً، بلسعات

احتج الثاني: البراغيث اللعينة .. لنعد .

اعترض الثاني: السعته مؤلمة.

أضاف الثالث: مؤلمة .

خيل للصبي الثاني أن الفرصة مواتية لكي يتحلل من وعده بصعود المنارة لترجع إذن ."⁽¹⁶⁾

بحث القاص في نصوصه عن الاماكن الميتة أو العدمية التي لا يمكن أن يصل اليها الإنسان العاقل ، أو الناضج والتي لا يمكن أن تشكل بعداً نفعياً ومصلحة له ، واذا اردنا أن نفلسفه هذه الاماكن يمكن أن تمثل الفضاء اللامعقولة ، أو اللا مفكر به ، فالجمال المكاني والحميمي معدوم في هذه الاماكن الملتوية والضيقة والتي يختبئ في ظلها كائنات وشخصيات مجهرية كثيرة تثير الفزع والرعب تمارس دوراً كبيراً في تقدم تجربة انطولوجية أو شعور وجودية بالعبثية أو المغامرة واللعب ، فالعلاقة ما بين الشخصيات والادوار الاجتماعية التي يمكن أن تقوم به هذه الاشياء ، ترفضه سرديات الطفولة وذاكرتها التي تبحث عن المكان المحايد أو الذي يتمتع بدرجة صفر دلالي فهي لا تعبر عن حياة ، إنما عن ملئ فراغ ، وهو تعبر عن الشعور أو فائض القيمة الدلالي لسيميائية الاهواء وعواطفها ، وما يمكن أن تقيمه الذات من علاقة منسجمة مع المكان الذي يثير الخوف ، ففضح رهبة المكان الذي تم انتهاك بكارته وقداسته عن طريق براءة الطفولة وجمال العبث بالمكان وملؤه بالحركة التي ترفض السكون ، فالحقيقة الوحيدة التي اضافتها شخصية الأطفال إلى هذا المكان اعادة التعرف اليه ، فضلاً عن اضاء قيمة جديدة ترتبط بالبعد الحيوي .

لم يلتزم القاص بالرهبة أو الخوف المكاني ، إنما حاول أن يشير إلى الخوف من الغياب أو غير محسوس ، ففي قصة (مملكة المعجزات) يقول القاص :

"قالت أمي بخوف جعلنا نتصلب هلعاً: إذا ارتكبتم معصية في الحضرة فيلعنكم الله . ونظرت إلينا بعينين مرتجفتين ثم أكملت حين رأت الصمت يلفنا : ستحل عليكم اللعنة وسيقلبكم مسخاً، ستصبحون حيوانات هائمة في البرية والليل ستصبحون حيوانات جائعة .

كنت جائعاً تلك اللحظة وكنا نعرف تلك الحكايات المخيفة التي تروى عن كرامات الشيخ كما تقول أمي، كما كنا نعرف أيضاً مساعدته الضعفاء والفقراء الذين يحبونه في لحظات الخطر والاحراج.

فجأة همس أحدنا في أذني ساخراً : هل ستتحول إلى قردة ؟...

قال آخر بسخرية أكبر يستطيع أن يحولنا إلى قردة بسهولة.

أجبت بحدة لقد حول أحد الكفرة إلى قرد بشع .

وصمت آخرون ."(17)

إن الانطباعي الاول الذي يكشفه الخوف من الغيبات أو الجانب اللاهوت يتجلى في تغذية كل فضاء العدمي أو اللامرئي الذي يحتوي كل معجزات الخوف أو القدرات الخارقة التي تأثر على الافعال من حيث الرقبة أو التجاوز والحرية ، فالسخرية هي استهانة بالخوف وعدم اليقين . فانتقاد التفكير الخرافي أو اللامعقول ومدى قدرته في تنويم العقل الاجتماعي ومنطقه هو ما ترفضه الأنا الساردة في كون المقدس له معايير وحدود ، وهو ما حاول العقل الانساني اضافت على الاشياء غير معقولة وواقعية ، وبذلك جسد الخوف الجانب اللاعقلي من مسالة الاعتقاد بالغيبات .

ويكشف القاص جانباً آخرًا للخوف والذي يعكس عظمة الصدمة من الموقف الذي يمكن أن يحيط بالإنسان فتجربة الخوف في قصة البكاء متنوعة الأبعاد ففي قوله :

"أجبت أعرف هذا،

ولكنني خائف.

قالت بعتاب ودهشة تخاف من أبيك ؟ ...

قلت بضراعة لست خائفاً منه،

لكنني خائف ولا أعلم لماذا؟

ضحكت أمي وبدا أنها لم تقتنع بتبريري بينما كنت أرتعش خون وخجلاً فمن القوا القبض على أبي وأودعوه السجن كنت متردداً خجل بارد يستقر في عظامي ويجعلني أبدو كالمفرور كلما استعدوا الزيارة الذهاب لزيارته، لكن هذا التردد محموله مع والاعلام الى خوف ثم جديدة . قالت المرأة القروية : انا خائفة.

قال القروي : لقد اخبرته .

تطلعت اليه فأضاف: وقد وافق .

اعترضت المرأة في الأمر صعوبة.

هز رأسه وينفاد صبر قال: اعرف ذلك ... ولكن هل تبقيين وحدك تنتظرين كل هذه المدة؟. عشرون سنة عمر طويل.

قالت المرأة : لو لم تدخل الاغنام البستان.

وافق القروي : ولو لم يطلق النار على الراعي ..

ارادت ان تتكلم واحست بتيبس في حلقها وبخشونة حادة قصمت وظلا فترة ينظران الى بعضهما نظرات ضالة كبيرة. نظرات تريد قول شيء ولا تريد قول أي شيء.

كنت اشعر ان ثمة سرّاً غامضاً يتحدثان عنه وانها يقفان أمامه برهبة وعدم قدرة على اقتحامه، علم قدرة تشبه عدم قدرتي على زيارة ابي في السجن وخوفي من شيء لا أعرف ما هو لكنني احسه شفافاً البنا يكاد يتفجر في صدري ويضرب الدماء في عروقي، وكان هذا الشيء يكبر كلما مرت الأيام، يزداد مع طول الزمن، مع ابتعادي وهروبه من الزيارة .

ابي في السجن وخوفي من شيء لا أعرف ما هو لكنني أحسه شفافاً عنيفاً يكاد يتفجر في صدري ويضرب الدماء في عروقي وكان هذا الشيء يكبر كلما مرت الأيام، يزداد مع طول الزمن، مع ابتعادي وهروبي من الزيارة ..

قالت أُمي : لو تعرف كم سيكون سعيداً وفخوراً بك ...⁽¹⁸⁾

توزعت تجربة الخوف في هذا النص على الانعكاسات أو الاسقاطات التي تركزت في شعور الشخصيات القصصية التي اعتقدت بأنها مقهورة ومسلوبة الارادة ؛ لأن ظاهرة الخوف الجماعي ، تحولت الى عقاب ، فكل الموجودين في هذا المكان يشعرون بالخوف لأنهم لا يستطيعون أن يرى من يحبون مرة أخرى ، فالخوف يتمظهر في حالة التقيد للحريات وتجربة السجن، فصراع الخوف كشف جانب من الحياة الخفية للطفل التي شعر عن طريقها بأنه مظلوم ساعده في تكوين مفهومه للحرية الذي تجسد في لحظة فقدانه شخص يحبه ، فاستلاب الارادة هو استلاب وجودي وشعور بالنقص والضعف ، فالخوف أصبح صيغة أو طريقة حياة تكونت حول الخوف الغياب .

ولاشك أن كل شيء يمكن أن يثير الخوف في الطفل ، فكل حركاته وافعاله والعبه ترتبط بمغامرة الخوف ففي قصة (اللصوص) يقول السارد :

" سرنا نحن الأولاد المهزولين تجاه النهر الذي كنت اعشقه، النهر الذي أود أن اسبح في اعماقه لكي أناجي الحصى واکون صديقاً للأسماك.

لم اكن وحدي احب النهر فكل اصدقائي يحبون النهر، يحبونه ويتحدثون عنه دائماً. يتكلمون عن النقود الضائعة في عروقه، وقد يتبادر شك إلى عقل احدهم فيرفض فكرة وجود النقود مما يؤدي الى اختلاف الآراء وبالتالي النزاع والضرب الذي قد يجعل الدماء تسيل من بعض الوجوه، ومع هذا فكنا نحب النهر.

بدأنا نحن الأولاد الفقراء السير نحو القصر الذي اعتدنا سرقة النارج وأزهار الخوخ والعنب الحامض منه، القصر الذي كنا نسرق منه الكثير من الفواكه التي يندر أن يحضرها أبائنا.

قبل ان تصل القصر المسور بالقضبان الشديدة الحافات مثل رماح تتوهج رؤوسها والتي كانت على شكل مثلثات تسطع في التماعات البرق توقفنا فترة واخذنا نخطط لكي تتسلق ورغم بعض الخلافات الصغيرة عن كيفية توزعنا فقد تم الاتفاق في النهاية على ان اقف انا وصبي آخر قرب جدار السور بينما يذهب الآخرون الى الداخل، داخل القصر الذي يشبه قلعة مثيرة تجعل الخوف يساعد في دمنا القصر الهاديء الذي تنتشر فيه الأزهار الملونة الأزهار التي أوصني اختي الصغيرة أن أجلب لها واحدة حمراء لتضعها في رأسها للزينة كالعادة. والأزهار الشوكية التي فجرت الدم من أصابعنا عندما حاولنا قطعها ذات يوم . وقفنا في الخارج بينما قفز الأولاد كالغفاريت وتسلقوا السور وبحركة ماهرة أصبحت أجسادهم في باحة القصر. ساروا بحذر تجاه شجرة الليمون وبدأوا يقطفون والخوف ينهمر من عيونهم، وكانت السماء في تلك اللحظة قد اخذت تمطر مطراً أشد من ذي قبل⁽¹⁹⁾

يكمن في بنية العنوان (اللصوص) اعترافاً من قبل أنا الساربان السرقة تشكل فعلاً قبيحاً ، ولكن في عالم الطفولة وجغرافيته وذاكراته يقدم لنا فعلاً وممارسة السرقة في عالم الطفولة هي مغامرة ولعبة تكاد أن تكون فعلاً درامياً وتشويقاً لما يمكن أن يحدث من احداث سرديّة غير متوقعة ،

فالمفارقة الدرامية تجلت في تحركات اللصوص أو الاطفال والتي تمثل نوعاً من الصعلكة التي ينفذ عن طريقها الاطفال خطتهم في تنفيذ المهمة في غطف الفاكهة، فالانبعاث والتوهج في هذا الحدث هو عملية تجاوز السور أو التجاوز الطبقي للخطوط الحمراء في كون العمل بحد ذاته يبعث على الخوف فالضعف البشري ، أو ضعف الطفل تغلب على حاجز الفقر، وأن مبدأ عدم المساواة وهو تحدي للسلطة التي تتمسك بالموانع والمحرمات التي لا يمكن أن يتجاوزها عالم الكبار.

فجماليات الخوف يمكن أن تتحول إلى ممارسة مشروعية في فن الصيد والخوف من الخسارة ففي قصة (الطائر يا صديقي) يقول القاص :

"اغمضت عيني وتركت الحلم يقودني

منذ زمن طويل وأنا مشحون بهذه الرغبة الممتنعة. رغبة أن اصطاد طائراً، أي طائر، فصديقي الذي اعتدت ان اخرج واياه للصيد يحرمني من تحقيق هذه الأمنية .. كان اللعين يمتلك عينين لا تخطئان الهدف كان يسدد من بعيد فيتهاوى الطير ببساطة مجبولاً بالدم والتراب. واكون انا مجبولاً بالرهبة والخجل. فمد بدأنا الصيد معاً لم استطع ان اصيب أي طائر. لكنني الآن ارقب هذا الطائر الرشيق الملون ناحية الرقبة. ارقبه يتقافز من غصن إلى آخر ارقبه بنفش ريشه الزاهي في وهج الشمس - اخرج آلة الصيد من جيبي المنفوخ بقطع الحصى الصغيرة - اسدد بدقة الطائر يلهو في مرحة البهيج - اسدد ثم اطلق واهرع راكضاً وعيناي معلقتان بالطائر الذي يتهاوى بسرعة خارقة. التقطه اخرج منديلي واطوق منطقة الجرح اضمه الى قلبي اضمه وانا ارتعش فرحاً. فهذا هو الطائر الأول." (20)

إنَّ الرغبة المتحققة في هذا النص تشتغل على عنصر التشويق ، اذ إن هذا الاحساس يمثل بعداً من الابعاد الانسانية المكثفة والمعقدة التي تجمع ما بين الرهبة والخجل والخوف، فكل هذه المشاعر والاحاساس ترتبط بمدى قدرة هذا الطفل على أن يحصل على رغبة في الصيد والامساك بالفرسية ، فالمبدأ الاساسي والمركزي الذي يحرك المشاعر المتناقضة يشير إلى بحث الكائن عن فعل التملك ، فالرغبة بالتملك هي في الحقيقية الرغبة في التسلط والشعور بالقوة ، فكل عناصر القوة في الصيد تتغلب على الخوف ، فبراءة الطفولة تُختزل في اللا شعور أو اللا وعي ، وهو ما يمكن أن يجسد فلسفة التغلب على الخوف .

فسعادة الانتقام يمكن أن تتغلب على الخوف ففي قصة (الحدث) يقول القاص :

" قال احدها فجأة ويفرح مذعور انه يقترب منا .

اشتعلت عيوننا غضباً ولهفة وخيل التي أنني أسمع صوت ارتطام الدم في صدري تلك اللحظة حتى انني لم انتبه الى اصدقائي الذين اسرعوا بالاختباء في زوايا المكان الذي قسم انتظارنا طويلاً، وتواروا في الأماكن المعتمة .

هرعت إلى احدى الزوايا التي تقبني انظار الآخرين، فسيقع الآن الحدث الأكبر وسنحقق امنيتنا التي اجتمعنا من اجلها في هذه الحربة المجاورة لمدرستنا والتي تعج بالأوساخ وبجثث الحيوانات الميتة وبالحجارة والتراب والصفائح المعدنية الصدئة والخرق البالية. ومع هذا فقد غامرنا بدخولها، رغم تحذير امهاتنا اللواتي يقلن انها مسكن الأرواح الشريرة والأمراض الفتاكة واذكر ان احد اطفال الحارة قد سقط ذات يوم على ارضها، وهو يجري باحثاً عن كرتة المفقودة فجرح، ولازم الفراش ولم

يلبث ان مات بعد ايام، وقد علقت

نساء الحارة ومنهن امي بان روح الشيطان قد سكنته فمات"⁽²¹⁾

اللاوعي الجمعي في هذا الفضاء السردي يغذي حالة الانتقام والكشف عن الجوانب الخفية لما يقدمه المجتمع من سرديات الخوف التي تأثر على ممارسة وافعال الأطفال ، فكل ما يتشكل في هذا المكان من اوصاف تأثت للشعور بالخوف ، وتسجل ذاكرة لا معقولة وغير ومجروحة ، فكانت شخصية الشيطان أو السرديات الابليسية الفاعل الحقيقي في التأثر على أفعال الإنسان ، ولاسيما الاطفال ، فالخوف من المجهول أو اللامعقول يمثل بؤرة لها عالم موازي ذات ابعاد هيولية يمكن تأويله على وفق ما يمكن أن يشعر به الإنسان ، فالموت له اسباب قاهرة بعيدة عن عالم المحسوس الذي يسيطر ويقوده عالم اللامحسوس أو غير مرئي ، فالخوف من الاشياء غير المرئي ساعد القاص على اعادة تأنيث هذا الفضاء غير المرئي الذي تشعر الشخصية بأن هذا المكان مسكون بذاكرة مكان تاريخية وبأنه له عالمه وامتدادات ، والذي نحج القاص في كشفه في اعماق النفس الإنسانية .

3 الخاتمة :

خلاصة ما تقدم في هذا البحث فإن استطيعا الخوف في قصص (ذلك النهر الغريب) للقاص نجمان ياسين كشفت الخوف بأنه لحظة انكشاف وتجلي وتعرف جديدة على ماهية المشاعر ، ووجود ناقص وغير مكتمل يتجاوز كل ما يمكن أن تبحث عنه الذات الإنسانية الكمال ، فالخوف ثيمة لها فضاء ومكان وزمان وشخصيات والتي كانت لها تأثيرها على مشاعر الطفل أو الذاكرة التي تجمعت وتطعمت بمشاعر القهر والتملك والاستلاب والعجز والقوة والرغبة والخلج ، فهذه المشاعر كانت بمثابة المحركات الاساسية للشعور بالخوف ، فضلا عن أن استطيعا الخوف في هذه المجموعة تظهر فيها فضاء وعالم غير مرئي هو عالم اللاشعور أو اللامعقول ، فالزمان والمكان غير محدد أو له ابعاد هيولية غير متجانسة ، وكذلك فإن شخصية الشيطان أو ابليس شخصية غيبية غير متجسدة أو مكتملة المكان والزمان يتم استحضارها في فضاء الخوف الذي هو علامة سيميائية غير محددة الحدود أو الجغرافية، لأنها تتغذى على روافد متنوعة ومتباعدة تجمع ما بين الضعف والقوة ، و الوجود والعدم ، فالخوف هو فضاء العدم الذي يحاول القاص التغلب عليه عن طريق الشخصية المتحركة غير ساكنة ومتجانسة و التي يمكن تساعد في أن تحول المقدس إلى المندس والذي عن طريقه تفقد السلطة قوتها عن طريق جماليات القبح في عالم الطفولة وبراءته .

الهوامش:

¹ - ينظر تجليات الخوف في الشعر الاموي ، حسين محمد عبيدات : 12 .

² - معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : 230 / .

³ - ينظر معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم ، الاصبهاني : 161 .

⁴ - ينظر الخوف والرجاء في القرآن الكريم ، عبدالله اسود خلف الجوالي : 23 — 26 .

- 5 — أحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي : 4 / 135 .
- 6 — التعريفات الجرجاني : 60 .
- 7 — مدراج السالكين ، ابن قيم الجوزية : 1 / 549 .
- 8 — المعجم اللغوي ، البستاني : 729 .
- 9 — ينظر الخوف والعرشة ، انشودة دياكتيكية ، سوران كيركورد ، ترجمة قحطان جاسم : 8 .
- 10 — الخطابة ، ارسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي : 118 .
- 11 — المرجع في علم النفس ، سعيد جلال : 330 .
- 12 — ينظر الكينونة والعدم ، جان بول سارتر ، ترجمة نقولا متيني : 476 .
- 13 — ينظر الفن والخوف ، ديفيد بايلز ، تد اورلاند ، ترجمة زمن خالد فاروق : 25 — 26 .
- 14 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 20 .
- 15 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 45 .
- 16 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 47 — 48 .
- 17 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 57 .
- 18 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 75 — 76 .
- 19 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 90 .
- 20 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 99 .
- 21 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين : 121 — 122 .

المصادر والمراجع :

- 1 — أحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، الناشر دار المعرفة ، بيروت .
- 2 — تجليات الخوف في الشعر الأموي ، حسين محمد عبيدات ، وزارة الثقافة ، ط1 ، عمان ، الاردن ، 2015 .
- 3 — التعريفات ، أبو الحسين علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الدار الوطنية للنشر ، 1948 .
- 4 — الخطابة ، ارسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 .
- 5 — الخوف والرجاء في القرآن الكريم ، عبدالله اسود خلف الجوالي ، مكتبة دار الزمان ، ط1 ، المملكة العربية السعودية ، 2003 .
- 6 — الخوف والعرشة ، انشودة دياكتيكية ، سوران كيركورد ، ترجمة قحطان جاسم ، الرافدين ، ط2 ، بيروت .
- 7 — ذلك النهر الغريب ، نجمان ياسين ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2021 .
- 8 — الفن والخوف (حول مخاطر ومكافآت) صنع الفن ، ديفيد بايلز ، تد اورلاند ، ترجمة زمن خالد فاروق ، الكرمة للنشر ، ط1 ، 2023 .

-
- 9 — الكينونة والعدم ، جان بول سارتر ، ترجمة نقولا متيني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1 ، 2009 .
- 10 — مدراج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، أبين قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1956 .
- 11 — المرجع في علم النفس ، سعد جلال ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1985 .
- 12 — المعجم اللغوي ، معجم البستاني ، بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، ط8 ، 2008 .
- 13 — معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم ، الاصبهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- 14 — معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، 1979 .